أهمية العلم والتعلم

حديثنا عن مشكلة كبيرة جداً تواجه الأمة ... إننا أمة غير متعلمة، أمة غير مهتمة بالبحث العلمي ولا التفوق العلمي وهذه بنود تمثل أساساً ترتكز عليه الآية الكريمة "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" - سورة الأنفال: الآية 60.

وتعالوا ننظر إلى بعض الحقائق: إن نسبة الأمية في الوطن العربي = 60 % أي أنه من بين 300 مليون عربي 180 مليون لا يقرؤون ولا يكتبون، وهذه مصيبة لأمة أول كلمة نزلت في كتابها الكريم: "اقرأ"...

إن كندا أعلنت منذ بضعة أسابيع القضاء التام على الأمية... ليس أمية القراءة بل أمية التعامل مع الكمبيوتر!!

هل شعرتم بالفجوة بيننا وبين العالم المتقدم...

لو نظرنا لجائزة مثل جائزة نوبل وهي تقدم منذ عام 1901 إلى أفضل بحث قُدم في أحد المجالات تعالوا نختار ثلاث مجالات علمية هي الطب والكيمياء والفيزياء وننظر للفرق بيننا وبين سائر الأمم منذ 100 عام لم يحصل على أي جائزة من المسلمين سوى اثنان عالم باكستاني و د. أحمد زويل في حين أن 81 أمريكي حصلوا عليها في الطب و45 حصلوا عليها في الكيمياء وهناك 26 بريطاني حصلوا عليها في الطب و20 في الكيمياء و25 في الفيزياء...

نحن غير متواجدين إطلاقاً على ساحة البحث العلمي... كل المخترعات في 200عام الفائتة نحن مستوردون لها . من أول الكهرباء والطائرة مروراً بالقلم الجاف والموبايل والكمبيوتر نحن لسنا أصلاً على خريطة البحث العلمي أو الإنتاج حتى سجادة الصلاة والمسبحة نستوردها من الخارج.

ولنترك أمريكا وإنجلترا وننظر لدولة مثل الهند وهي دولة من دول العالم الثالث...

الهند أكبر بلاد العالم تصديراً لبرامج الكمبيوتر وهي تتقدم في هذا المجال بشكل ملحوظ حيث كانت صادراتها في عام 2000 بـ 6 مليار دولار وفي عام 2002 بـ 8 مليار دولار وبرامج الكمبيوتر لا تحتاج إلى مراكز ومعامل كل ما تحتاج إليه منضدة وجهاز كمبيوتر وما أكثرهم في أيدي الشباب وعقل مفكر وهذا ما نبحث عنه.

المستشار الألماني بنفسه أعلن في أحد المعارض الكبرى الخاصة بتكنولوجيا المعلومات أنه مضطر لمنح 30 ألف فيزا عمل للهنود لأن طموحات ألمانيا في البرمجيات أقل من إمكانياتها ...

العلم والعلماء يفرضوا أنفسهم على العالم فرضاً...

فلماذا وصلنا لما نحن فيه تعالوا ننظر لبعض الأسباب :

أولاً: لم نعد نحترم العلم. لم يعد للعلم قيمة في حياتنا فأصبحنا نستورده ونكتفي بذلك. إن للعلماء في الأمة الإسلامية قيمة جعلت الخليفة هارون الرشيد يصب الماء على يد العالم ليغسلها بعد أن أكل في مجلسه إجلالاً له...

ثانياً: لقد أصبح العلم في بلادنا مجرد ورقة - شهادة وليس من أجل إفادة الأمة.

كل طالب يدرس لينجح أو ليحصل على ترقية ولا شيء أكثر من ذلك.

أحد الطلبة اليابانيين كان في منحة لدراسة الدكتوراه في أمريكا وأثناء دراسته توصل إلى اختراع جديد فقطع دراسته وألغى المنحة وجهز أوراقه عائداً إلى بلاده فلما سألوه والدكتوراه؟ قال : لقد جئت أدرسها لأتمكن من اختراع هذه الآلة وبما أني اخترعتها فالشهادة في حد ذاتها لا تعنيني وسأعود لأخدم بلادي.

ثالثاً: لم نعد ندرس ما نحب ولم يعد هناك من يعرف ماذا يحب؟ أو ما هي إمكانياته ومهاراته فنجد أنه أحياناً وبعد سنوات من التخرج نغير اتجاهاتنا في العمل وتضيع سنوات دراستنا هباء .. أين برامج اكتشاف المواهب والإمكانات؟

رابعاً: وهذه مشكلة المشاكل الفهم الخاطئ للإسلام.

تصور بعض الشباب أن الإسلام هو المكوث في المساجد، فما أن يلتزم حتى ينحدر مستواه العلمي بعد أن كان متفوقاً يصبح فاشلاً فيصبح أسوأ صورة للمسلم.

إن في ديننا فروض كفاية وفروض عين... فأي اختراع لم يشارك فيه المسلمون يصبح فرض عين على كلٍ منهم، ولو أداه أحدهم لسقط عن الباقي وإنك بعلمك تقف على ثغرة من ثغور الإسلام.

ما الذي يدفع شاب مسلم يدرس العلوم أو الطب إلى تركها والاهتمام بدراسة العلوم الشرعية؟

هذا فهمٌ قاصرٌ لديننا يكفيك ما يفيدك في أداء المناسك أداءً صحيحاً وبعد أن تنبغ في مجالك... أدرس العلوم الأخرى.

خامساً: وهذا سبب في غاية الأهمية إننا أصبحنا أمة لا تقرأ... مع أن القراءة أصبحت ميسورة على الشبكة كل الكتب وآخر الأبحاث. لو سافرت لأي دولة أجنبية لن تجد إلا أقل القليل في المواصلات العامة جالساً بدون كتاب جميع الأعمار تمسك كتاباً وتقرأ... أما في بلادنا فنجد أن من يتناول شيئاً من ورق فلحل الكلمات المتقاطعة... وإذا دخلنا على الشبكة العنكبوتية فللحديث والدردشة أو اللعب...

من ضمن الأسباب انتشار الغش: إن من يغش يتحمل إثم الأمة... إننا حين ندرس لا ندري معنى ما ندرس شيئاً ولا مدى الفائدة التي ستعود منه على الأمة.

في يوم من الأيام حين كان العرب على قمة العالم كان الأوروبيون مضطرون لتعلم اللغة العربية أما وقد أصبحنا في ذيل قائمة العلماء فلابد أن نتعلم نحن لغتهم.

إن اختيار التخصص على سهولته أو مدى ما يجلبه من مال ليس خلقاً إسلامياً وحبس العلم عن الناس حتى لا يتنافسوا فيه ليس خلقاً إسلامياً.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أوتي علماً فحبسه عن الناس ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة".

لم يعد هناك من يهتم بالإنفاق على البحث العلمي لأن قيمة البحث العلمي لم تعد موجودة، قد ينفق مقتدر على الحج لنفسه ولغيره الآلاف ولا ينفق مليماً على إحدى الأبحاث...

قد يقول قائل: ربما يكون العيب في الإسـلام، هـو الـذي دفـع أمتـه ليكونـوا كذلك، بدليل أن كل التفوق العلمي خارج الأمة الإسلامية ..

تعالوا معي ننظر إلى ديننا:

الكلمة الأولى كانت "اقرأ".

لماذا؟ لماذا ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس بقارئ؟

لأنه مـع الـدعوة انتهى عصـر المعجـزات الخارقـة وبـدأ عصـر الانتصـار على الواقع.

انتصر الأنبياء السابقون بمعجزات حسيّة عصا موسى، طوفان نوح...

أما رسول الله وأمته المسلمة فإن نصرها نبع من أفرادها.

ثاني سور القرآن الكريم نزولاً: "ن، والقلم و ما يسطرون"- سورة القلم.

وفى سـورة البقـرة في حـديث رب العـزة عن خلـق آدم قـال: "وعلم أدم الأسماء كلها" - سورة البقرة: الآية 31.

كلمة "عليم" ورد ذكرها 224 مرة، كلمة "العلم" 375 مرة...

هناك 102 حديث شريف للحث على طلب العلم...

قال صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقاً يبتغي فيه علمـاً سـهل اللـه لـه طريقاً للجنة" وقال أيضاً: "إن الملائكة لتضع أجنحتهـا لطـالب العلم..." وفي حـديث أخـر قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: "إن العـالم يسـتغفر لـه من في السماوات والأرض حتى النملة.. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب" والعالم يجمع علـوم الـدين والـدنيا الـتي تفيـد الأمـة... وفي حديث آخـر: "من خـرج في طريقـه يلتمس علمـاً فهـو في سـبيل اللـه حـتى يرجع".

إن من أجمل صفات الأنبيـاء العلم: قـال اللـه عـزّ وجـلّ عن موسـى: "آتينـاه حكماً وعلماً" - سورة القصص: الآية 14.

وعن داود وسليمان: "وآتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين" - سورة النمل: الآية 15.

وقال رسول الله: "ما بعث الله نبياً إلا وله حرفة وكان نبي الله زكريا نجاراً".

وانظروا إلى خطة رسول الله مع أمته ليصل بها إلى ما وصلت إليه... جعل فداء كل أسير من أسرى بدر الـ 70، تعليم 10 من المسلمين حتى يجيدوا، وكان ممن تعلم زيد بن ثابت: جامع القرآن الكريم .

طلب رسول الله من زيد بن ثابت تعلم لغة اليهود فتعلمها في 18 يوماً، فسأله: "أتكاتبهم بها"، قال: نعم أكاتبهم - أي إنه ليس أي تعلم بل إجادة تامة.

قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على فكرة الخرافة: "من أتى عرافاً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد".

رسول الله معلم الأمة وضع وصفة للنهوض بها بدأها بالتعليم والحث عليه والقضاء على الجهل والخرافة ثم الإحصاء نعم علم الإحصاء وهو من العلوم الحديثة ويعتمد عليها الحاسوب، فكان صلى الله عليه وسلم يقول: أحصوا لي من يملك سلاحاً .. أحصوا من دخل في الإسلام.

وشيء آخر وضعه في وصفته للنهوض: العمل الجماعي "وتعاونوا على البر والتقوى".

جاءه حسان بن ثابت يقول سأكتب قصيدة أهجو بها الكفار فطلب إليه رسول الله أن يشرك معه أبا بكر الصديق فهو أعلم الناس بأنساب العرب حتى لا يخطئ حسان وبالفعل يكتب القصيدة ويقرأها كفار قريش ويقولوا والله إن وراء هذه القصيدة أبو بكر.

وآخر ما وضع في وصفته للنهوض العلمي للأمة: رفض العلوم التي لا ينتفع بها لأن كل ما لا ينفع الأمة لا طائل من وراءه ولا يستحق إنفاق الوقت، وقد كان يدعو صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ...".

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ...

بسم الله الرحمن الرحيم

بحث لمادة :

اللغة العربية